

أشكال... و صرايا

. سامي مهدي ❖ .

مرآة وحيدة

في الغرفة مرآة
بإطارٍ من ذهبٍ،
وصفاءٍ كصفاءِ ينبوعٍ .
ولكن ما جدواها
من دون عيونٍ تتطلعُ فيها،
ووجوهٍ تمنحها معنىً وحياةً؟

خيط

رأيته يسرّحُ في المرآة
فيلتوي ويستقيمُ قبلَ أن يغور
فيها، ويختفي، فقلتُ للسُّعاةَ:
« هذا طريقي، فاتبعوا خطايَ
حتى نعبّرَ الجسور
ونبلغَ المدى معاً. »

قالوا: « فكيف، والطريقُ
محضُ سرابٍ لاحٍ في مرآة؟

لم يروا الطريقُ،
فكلُّ ما رأوا خيطُ رماديٍّ من الظلالِ
لاحٍ لهم ثمَّ اختفى

❖ - شاعر وناقد من العراق

في عَبَشِ المرآة.

فلم يروا تحوّلَ الأشياءِ
ولا تغييرَ الأشكالِ والأسماءِ،
فقعّدوا ينتظرونَ موجةً
تحملهم سرّاً إلى السماءِ.

دخول

أشكالٌ ومرايا،
أشكالٌ ومرايا،
وبقايا أسرارٍ،
وعيونٌ تطرفُ،
ووجوهٌ تحرفُ، أو تنزفُ،
وقلوبٌ ترجفُ في الأغوارِ.

شخصيات

(١)

بشباكِ النزواتِ
تتصيّدُ أصداءَ مديحٍ
من عهدِ فاتٍ .
ساحرةٌ شاخِثُ،
لكن ما زالتُ

تَنسُجُ أحلاماً

وتفكِّكُ أخرى في ماءِ المرآةِ.

(٢)

امرأةٌ خرجتُ راکضةً من عينِ المرآةِ
جالتُ في كلِّ غرفِ البيتِ،
وأطالتُ جولتها بحثاً عن ثوبٍ،
كانتُ قد لبسته امرأةٌ ثانيةٌ
دخلتُ راکضةً عينِ المرآةِ.

لكن الثوبُ

ما كان سوى خدعةٍ نسّاجٍ،

وغرورِ امرأتينِ

بكتنا في الظلمةِ عاريتينِ.

(٣)

هل يقرأ كريولانسُ

مرآةَ كريولانسُ،

فيرى في كريولانسُ

مأساةَ كريولانسُ؟

مَنْ قالَ لكريولانسُ:

إِنَّكَ كريولانسُ،

إلا من هو كريولانسُ!

حتى كريولانس
يحسدُ كريولانس،
ويرى كريولانس
أبشعَ من كريولانس.

وجوه

وجهٌ يتعرقُ في ماءِ المرأةِ .
أعلامَةٌ تفكيرٍ هذي،
أمُ رهقٍ،
أمُ خوفٍ من حدثٍ آتٍ؟
وجهٌ يتقلبُ في ماءِ المرأةِ .
أعلامَةٌ تدجيلٍ هذي،
أمُ ترفٍ، أمُ خرفٍ،
أمُ غشٍّ يخفي عاهاتٍ؟

وجهٌ يتلألأُ في ماءِ المرأةِ،
أعلامَةٌ حسنٍ هذي،
أمُ فرحٍ، أمُ نزعٍ،
أمُ حبٍّ يزهرُ في الوجناتِ؟
لا بدَّ إذنٌ من أميرتو إيكو،
أو رولان بارت،

أو بضعةٍ قرآءٍ علاماتٍ،
و مرايا تُقرأ في الخلوات.

ثمة وقت

هل ثمة وقتٌ للنزهة في جوفِ الحوتِ؟
هل يونسُ حياً ما زال، وأبوابُ الملكوتِ
تتفتَحُ بدموعٍ ورجاءٍ؟ هل يقفُ
التابوتُ
بالميتِ، وينتظرُ الإذنَ ليغشى الحُجراتِ،
ويحدقُ في عينِ المرأةِ؟
لِمَ لا؟ ثمة أوقاتُ:
وقتٌ للأصلِ وللصورةِ،
وقتٌ للزينةِ والفرجةِ،
وقتٌ لطريفِ النزواتِ،
وقتٌ لجميعِ الآهاتِ.

مرآة النفس

مَنْ كَسَرَ تلكَ المرأةِ؟
أنتَ؟
لماذا؟
حسنٌ .. أحسبني أدركتُ!
حدِّقْ في تلكَ المرأةِ إذنً ..
حدِّقْ!

هل فيها غيرُك أنتُ؟
هاتانِ هما عيناكِ
وجبينكُ هذا، شعركُ، أذناكُ،
أنفكُ، شفتاكُ ..
هو وجهكُ، لا وجه سواكُ.
أو كنتَ تريد
أن يغسله ماءُ المرأةِ
كي يبدو أجملَ، أو أفضلَ، أو ..
لا تغضبُ،
ما هذي الصورةُ إلا من صنعك أنتُ.
مفزعَةٌ؟
لتكنُ،
لكنك أنتُ!
عجيباً ..
أتحاولُ محوَ الصورةِ ثانيةً؟!
لا تفعلُ.
فالصورةُ باقيةٌ
وكذلكَ سيمائكُ أنتُ.
كسرُ مرآتكِ إن شئتُ
أو جربِ مرآةَ أخرى،
أو أخرى،
فالأمرُ سواءُ.

وهناك مرايا ومرايا

تختزن الصورة خلف الأضواء،

تظهر لك إن تنظر فيها

وتحدق فيك بلا استحياء.

وتهاوت، في الزحمة، أوراق التين.

ها أنت ترى كم في المرأة

من صورٍ شتى لوجوهٍ في شتى

الحالات.

عين المرأة

ليست مصفاة

لدموعٍ سالت،

ورؤوسٍ مالت،

ووجوهٍ شاهت من فرط الإعياء.

مرآة الآخر

صورة من في تلك المرأة؟

صورته؟

أم صورة آخر يشبهه؟

أم صورة تمثال من شمع أم دمع؟

أم صورة شبح؟

أم هو.. هو من دون الهالات؟

صورة من في تلك المرأة؟

صورته؟

هل كان هنا؟

منذ متى؟

قبل مراسم التعيين؟

هل نسي الصورة، أم أهملها

كي يذهب للحفلة من دون قرين؟

ها.. صورته تلك إذن

وعليها سيماء التدجين

وانزاحت عنها الأصابع،

عين المرأة

ذاكرة صاحبة

لوجوهٍ مرت،

ووجوهٍ قرت،

ووجوهٍ قد تأتي في زمنٍ آت.

عين المرأة

لا تنسى أحداً،

أو تهمل أحداً،

بل تخزن ما تخزن من صورٍ

دون استثناء،

منذ رأى أول إنسانٍ صورته في الماء

وتعشّقها،

منذ تبجّحت الحسنة

بمرايا فتنتها ودهتها الخيلاء

منذ تزين بالأدهان مذيع

قبل قراءته الأنباء.

مرآة الماء

في رحم الماء

كان الإنسان

فاتخذ الماء

مرآة يتطلع فيها،

ليرى صورته حيناً،

أو صور الأشياء.

لكن الماء

لا يظهر إلا أقنعة

زاهية، كحبر يتموج، ينسجه إبليس

كي يغوي نرسيس

بكتابة ما يهوى في صحف الماء.

الصورة في الماء

ليست جنياً، أو شبهاً،

أو وهماً يصنعه الشعراء

ثاوية في العمق السري،

منزهة من كل رياء.

يعرفها الجوابون

والصادة والبحارون

والمنتحرون

وجميع الفقراء.

لا تظهر إلا في وقفة صدق،

أو زهد،

أو نوبة خوف،

أو إغماء،

تمرق كالطيف إذا أومض

في لحظة إغفاء.

مرآة الحائط

بينون الحيطان

في بابل،

في أثينا،

في روما،

في أقصى الصين

أو مدن المعدن في القرن العشرين،

لتكون حصوناً

وبروجاً،

ومراصد إنذار

وحواجز أنظار

وشواهد جبروت

وسدود متاهات

ومحافل أسرار.

بينون ..

ويعلون البنيان

في كل مكان

في كل زمان،

والحائط ليس سوى مشكاة

والحائط ليس سوى مرآة

قد تبدو صماء

قد تبدو عمياء

لكنني أرى فيها كل الأشياء

وأراني، أحياناً،

أحلق ذقني،

أو أعقد ربطة عنقي،

أو أسأل أسئلة حمقاء.

(هل هي حمقاء؟)

أسئلة عن بعض الماضين

وبعض الآتين،

فيذا بالحائط ذاكرة

تحفظ آلاف الأسماء

وتدون آثار الأموات

وآثار الأحياء

وتسف غبار الماشين

وتعب صرير العربات

وتزق نقوش الأطفال

ونبض العشاق

وتهجو الساسة والزعماء.

وتحدث عن شهداء،

ومغدورين،

وملعونين،

ومحشورين مع الشهداء.

أو تنقل موعظة

أو تلعن خطباء،

أو تحمل أفئدة حيري،

أو تقطر شهوات.

أكون مدن القرن الحادي والعشرين

أو مدن القرن الثاني والعشرين

مدناً للإنسان؟

مدناً لا أسوارَ لها أو حيطانُ
مدناً من ماء
من شمسٍ وهواء
من شجرٍ
من ثمرٍ...
مدناً للأطفالِ وللعشاقِ
وللبشرِ السعداءِ؟
هل يتركُ هذا الشيطانُ
أعباءَ وظيفتهِ؟
هل يتصالحُ قابيلُ وهابيلُ،
وتقتسمُ الذؤبانُ مع الحملانُ
كلَّ البريةِ؟
هل يغدو الذئبُ نباتياً،
ويكفُّ القيصرُ
عن إبلاغِ رسالتهِ للعالمِ
ويكونُ العالمُ من دونِ حروبٍ وجيوشٍ؟
أسئلةٌ لم تاكلها الجرذانُ
أسئلةٌ يعرفها الحائطُ،
يسمعها منذ بعيدِ الأزمانِ
ورآها تكتبُ في صفحتهِ
بيدِ الإنسانِ،

ورأى الإنسانُ
يَحْفَظُهَا فِي صَحْفٍ وَمَسَلَّتِ
وشرائعِ أديانٍ .
لكنَّ الأبيضَ والأسودَ
وجهانٍ له،
وله اسمانُ،
قابيلُ وهابيلُ .
فهو الإنسانُ
في حينٍ،
وهو الشيطانُ
في حينٍ آخرَ .
والحائطُ مشكاةُ
والحائطُ مرآةُ
ومسلَّةُ أحداثٍ شتَّى
وصحيفةُ أهواءِ.

لافتة

يبقى الإنسانُ
غابةً حيوانَ
في نفسٍ واحدةٍ مرهقةٍ
وفؤادٍ حيرانَ.

خروج

أخرجُ من مرآتي
كالميتِ يخرجُ من قبرٍ مفتوح
أمشي مشبوحاً بنشيدِ الروح
أصنعُ أدواتي
أنفضُ أحزاني
وأتابعُ سيرتي في كلِّ فضاء .
ما أوسعَ خطواتي،
ما أقوى أثري الباقي في نسغِ الأشياءِ .
لا شيءَ يجرِّدها مني
لا شيءَ يحولُّها عني
لي بصمةُ إبهامٍ حتَّى في الماءِ
لي رائحةٌ في كلِّ رياح
لي صوتٌ يتردَّدُ حتَّى في الصمتِ
لي أثرٌ في كلِّ طريق
لي لهبٌ في كلِّ حريق
لي قلبٌ يَنْضُ في عرقِ الموتِ .
فأنا وجميعُ الأشياءِ،
وأنا وجميعُ الأسماءِ،
نبقى شركاءَ ..
نبقى شركاءَ.